﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٢٢﴾ [الشورى: 22]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

بَـيـانُ حـالِ المُـؤْمِـنـيـنَ والكافِرينَ يَوْمَ القيامَةِ

لمّا كانَ قولُ اللّهِ تعالى: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ دالًّا على أنَّه سُبحانَهُ يَفصِلُ بينَ أهل الإيمانِ وأهل الكفر يوم القيامة؛ أعقبه بشرح حالِ الفريقين في ذلك اليوم، فقال ﷻ: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿كَسَبُواْ﴾: (كسب) تدلُّ تصريفاتُه على جَمْعِ الشَّيءِ وتحصيلِه شيئًا بعدَ شيءٍ بِضَربٍ مِنَ الجُهْدِ[2]، ومِنْهُ: الكَسْبُ، وهو الابتغاءُ والطَّلَبُ والإصابةُ[3].

والكَسْبُ في قولِه تَعالَى: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ﴾ بمعنى العَمَلِ، أي: ممّا عَمِلوهُ من السَّيِّئاتِ[4].

2) ﴿وَاقِعُۢ﴾: (وقع) تدورُ اشتِقاقاتُه على ثبوتِ الشَّيءِ وسقوطِه[5]، يُقال: وقع الشَّيء وقوعًا، فهو واقِعٌ، ومنهُ الواقِعَةُ، وهو اليومُ الآخِر؛ لأنَّها تقَعُ بالخَلْقِ، فتَغْشاهُم[6]، ومواقِعُ النُّجوم: مساقِطُها، كما قال

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 292 - 293.
(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصَّل: (كسب).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كسب).
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 80.
(5) الرّاغب، المفردات: (وقع).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وقع).

اللّهُ تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥﴾ [الواقعة: 75][1]، وقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ﴾ معناهُ: والعذابُ نازِلٌ بهم لا محالَة[2].

3) ﴿رَوۡضَاتِ﴾: (روض) تدلُّ تَصْريفاتُه على رخاوَةِ الأرْضِ مِن تَشَبُّعها بالماءِ والرُّطوبة، ويلزَمُ مِن ذلكَ كثرةُ نباتِها وخُضْرَتُها[3]، والرَّوضة في قولِ الله تَعالى: ﴿فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ﴾: الموضِعُ الكثيرُ الخُضْرَةِ، وروضات الجنّاتِ: أطيب مساكِنها كما أنَّها في الدُّنيا أحسن أمكنتِها[4].

4) ﴿ٱلۡفَضۡلُ﴾: (فضل) تدور تصاريفُه على زيادَةٍ في شيءٍ، ومِنْهُ: الفَضْلُ، وهو الزِّيادَةُ والخيرُ، والإفضالُ: الإحسانُ[5]، والفَضْلُ نوعانِ: محمودٌ؛ كفضلِ العِلْمِ والجودِ، ومذمومٌ، كفضْلِ الغضَبِ على ما ينبغي أن يَكونَ عَلَيهِ، إلّا أنَّ استعمالَ الفَضْلِ في المَحمودِ أكثَرُ[6].

والفَضْلُ في قولِ الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ بمعنى التَّفوُّق والشَّرف[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بَـيـانُ حـالِ الظّالِمينَ وحالِ المُؤْمِنينَ يَومَ القيامَةِ

يَذْكُرُ اللّهُ تَعالى حالَ الظّالِمين يومَ القيامة، وهُم يعيشون في خوف شديدٍ؛ لِما اقتَرفوه في الدُّنيا من أعمالٍ سيِّئَة، والعذابُ واقِعٌ بهم - لا محالةَ - وبَيَّن سُبْحانه حالَ أهلِ الإيمان الذين عَمِلوا الصّالحات، وهُم في رَوْضاتِ الجنّات يتنعَّمون بما يَشاؤون عندَ ربِّهم، ذلك الجزاءُ العَظيم الذي خَصَّهم به هو الفَضْلُ الكبيرُ الذي لا يُضاهى[8].

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (وقع).
(2) النسفي، مدارك التنزيل: 2/ 252.
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (روض).
(4) القِنّوجي، فتح البيان: 12/ 295.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فضل).
(6) الرّاغب، المفردات الكريم: (فضل).
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 80.
(8) نخبة من أساتذة التفسير، التَّفسير الميسّر، ص: 485.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

سِرُّ فَصْلِ هَذِهِ الآيَةِ عَمّا قَبْلَها:

بَـيـانُ إشـفـاقِ الظّالِمِينَ ونَعيمِ المؤْمِنينَ

فُصِل قولُ اللهِ تعالى: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لِوقوعِهِ استِئنافًا بيانيًّا[1]، وذلك أنَّ هذه الجملةَ واردَةٌ جوابًا عَن سُؤالٍ يُفهم مِن جملة: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وهو: ما حالُهُم حينَ تَوَقُّع حلولِ العذابِ؟[2] فجاء الجوابُ: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ﴾، ويجوز أن تكون هذه الآيةُ جوابًا عن سُؤالٍ يُفهم من جملة: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ﴾، وتقديره: ما حالُ الفَريقين يومَ يُفصل بينَهم؟ فجاءَ الجوابُ في الآيةِ مبَيِّنًا حالَ أهلِ الكُفْرِ وأهلِ الإيمانِ جميعًا.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالرُّؤْيَةِ في قَوْلِهِ: ﴿تَرَى﴾ معنًى وصيغة:

استِحضارُ حالِ الـظّـالِـمِـينَ في الآخِرَةِ

الرُّؤية في قولِ اللّه تَعالى: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ﴾ بصريَّةٌ[3]، وفي التَّعبير بفعل الرُّؤية مضارعًا - وهو دالٌّ في الأصلِ على الحالِ - استِحضارُ صورَةِ حالِ الظَّلمة يومَ القيامَة في ذِهْنِ المُتَلَقّي[4].

بَيانُ المُخاطَبِ في قَوْلِهِ: ﴿تَرَى﴾:

عُلوُّ مَرْتَبَةِ النَّبيِّ ﷺ في الـفَـهْـمِ والإدْراكِ

المُخاطَبُ في ﴿تَرَى﴾ من قول اللّه ﷻ: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ﴾ يجوز أن يُرادَ به النَّبيُّ ﷺ، فيكون النَّظم القرآنيُّ قَد أقبَلَ على أعلى الخَلْقِ؛ إشارَةً إلى أنَّ ما بعدَهُ لا يفهَمُهُ حقَّ الفَهْمِ وكمالَهُ، ولا يوقِنُ به حقَّ الإيقانِ إلّا هو ﷺ[5].

ظُـهـورُ فَـظـاعَـةِ حالِ الظّالِمِينَ

ويجوز أن يكونَ الخِطاب لكلِّ مَن يَصِحُّ خِطابُه، فيكون ضميرُ الخِطاب خرجَ عن أصلِهِ في إرادةِ المُعَيَّن إلى معنى العُموم، والمَعْنى

(1) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 29.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 78.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 33.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 78.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 293.

على هذا: أنَّ حال الظّالمين في السّوء مِن الوُضوح والظُّهور بحيثُ لا تختصُّ برؤيَةِ أحدٍ دونَ آخرَ[1].

بَلاغَةُ وضْعِ المُظْهَرِ مَوْضِعَ المُضْمَرِ:

تَشديدُ التَّوبيخِ والتَّشهيرِ بالظُّلْمِ

في قولِ اللّه تَعالى: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ﴾ إظهارٌ في مَوضِعِ الإضمارِ؛ وذلكَ لأنَّ مُقْتَضى الظّاهر أن يَرِدَ في النَّظْم القرآنيِّ: (تراهم مُشْفِقين ممّا كسبوا)، وذلك لتقدُّم التَّصريح بالظّالمين في الآية قبلُ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ وذلك زيادة في التَّقريعِ والتَّوبيخ؛ إذِ الإظهار يُبْرِزُ جُرْمَهُم أتمَّ إبرازٍ، ويُشَهِّر وصفَهُم بالظُّلم مرَّة أخرى، وهذا أدخلُ في التَّخويف مِن مَصيرِهِم.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالإشْفاقِ دونَ الخَوْفِ:

الإشْفاقُ أليَقُ بِمَقامِ التَّهْديدِ والتَّخْويفِ

عُبِّر بالإشفاقِ دونَ الخَوْفِ في قول اللّه ﷻ: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ﴾؛ لأنَّ المَقامَ مقامُ تهديدٍ وتخويفٍ، والإشفاقُ أنسَبُ لتَحْقيقِ هذا المَقْصودِ، وذلكَ لأنَّ الإشفاقَ هو أشدُّ الخوفِ، وهو ملائِمٌ لِحالِ مَن يُحاسِبُه مَن هو أعلى مِنْهُ، والمُحاسَبُ مقصِّرٌ مفرِّطٌ[2].

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالاسْمِ ﴿مُشْفِقِينَ﴾ دونَ الفِعْلِ:

بَيانُ شِدَّةِ حالِ الظَّلَمَةِ يَوْمَ القيامَةِ

عَبَّر النَّظم القرآنيُّ عن الإشفاقِ بالاسم في قول اللّه تَعالى: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ﴾ دون الفعلِ، فلَم يَرِد في البيان القُرآنيِّ: (ترى الظّالمين يُشْفِقون ممّا كسَبوا)؛ لأنَّ الاسمَ أبلَغُ في الدَّلالة على الاستمرارِ والدَّوام، فلِشِدَّةِ الحال الَّتي يَكونونَ عَلَيْها يومَ القيامَةِ لا ينفَكُّ الإشْفاقُ عَنْهُم طَرْفَةَ عَيْنٍ.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِـ (مِنْ) في ﴿مِمَّا﴾:

إشْفاقُ الظَّلَمَةِ بِسَبَبِ سوءِ صَنيعِهِم في الدُّنيا

(مِنْ) في ﴿مِمَّا﴾ مِن قول اللّهِ سُبْحانَه: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ

(1) مكي القيسي، الهداية: 10/ 6582، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 29، والبقاعي، نظم الدرر: 17/ 293، والقنّوجي، فتح البيان: 12/ 295، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 29، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 78.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 293.

﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾ حرفُ جرٍّ هو صلةُ الإشفاقِ، وفي الكلامِ حذفٌ، والتَّقديرُ: مُشْفِقين مِن وبالِ ما كسَبوا، ويحتَمِلُ أن تكونَ (مِنْ) يُراد بها التَّعليلُ، والمَعْنى: تَرى الظّالِمين مُشْفِقين؛ بسبَبِ ما كسَبوهُ في الدُّنيا مِنَ المَعاصي، وهذا أدخَلُ في التَّهديد والوَعيدِ[1].

دَلالَةُ التَّعْبيرِ بِـ(ما) في ﴿مِمَّا﴾:

إشفاقُ الظّالِمينَ مِـن جَـمـيـعِ مَعاصيهِم

(ما) في ﴿مِمَّا﴾ في قول الله تعالى: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ﴾ اسمٌ مَوْصولٌ بِمَعْنى (الذي)، والعائدُ محذوفٌ، والتَّقدير: ترى الظّالِمين مُشْفِقين مِن الَّذي كَسَبوهُ، والاسمُ المَوْصولُ مِنَ الألفاظِ الَّتي تدلُّ على العُموم، وذلك يَقْتَضي أنَّ الظّالِمين يخافونَ أشدَّ الخَوْفِ مِن جميعِ ما كسبوهُ في الدُّنيا مِنَ المَعاصي والآثامِ.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالكَسْبِ:

خَـوْفُ الـظّـالِـمِـينَ مِـن صَـغـائِـرِ الذُّنوبِ وكَبائِرِها

عبَّر البيانُ القُرآنيُّ بالكسبِ في قولِ الله تعالى: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ﴾ دون الظُّلْم، فلَم يرد في النَّظم القرآنيِّ: (مُشْفقين مِن ظُلْمِهم)، وذلك لأنَّ الكَسْبَ أعمُّ مِنَ الظُّلْم، فأفادَ التَّعبيرُ بالكسْبِ أنَّهم لأجل ظُلْمِهم يخافونَ مِن كلِّ ذنبٍ عَملوهُ، وإن قلَّ[2].

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ ﴿كَسَبُواْ﴾ ماضيًا دونَ (اكْتَسَبوا):

سُـخْـفُ عُـقـولِ الـظَّـلَـمَـةِ في اعـتـقـادِهِـمُ الـضَّـرَرَ نافِعًا لَهُمْ

عُبِّر عن فعلِ الكَسْبِ ماضيًا في قول اللهِ تَعالى: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ﴾؛ لإفادةِ تحقُّقِ صُدورِ الذُّنوب مِنْهُم، وجاءَ التَّعبير بالكَسْبِ دونَ الاكْتِساب، فلَمْ يَرِد في البَيان القُرآنيِّ: (مُشْفقين ممّا اكْتَسَبوا)؛ لأنَّ الكلامَ في الذين ظُلْمُهُم هيئَةٌ راسخَةٌ لَهُم، بحيثُ كان كلُّ عَمَلِهم وبالًا عَلَيْهِم، فعُبِّر بالكَسْبِ؛ لبيان أنَّهم يعملون ما يضرُّهم في الآخرة، وهُم يَعْتَقِدونَ أنَّ ذلك غاية ما يَنْفَعُهُم[3].

(1) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 29.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 4/ 4.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 293.

دلالَةُ الواوِ في قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ﴾:

قَطْعيَّةُ وُقوعِ العَذابِ بِهِم واستِحْقاقِهِم إيّاهُ

الواوُ في ﴿وَهُوَ﴾ مِن قول اللّه تَعالى: ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ واوُ الحالِ، والجملة بعدها حاليَّةٌ[1]، وهو حالٌ من ضمير ﴿مُشْفِقِينَ﴾[2]، وأفاد ذلك أنَّ وقتَ إشفاقِهِم هو وقتُ استِشعارِهِم وقوعَ العذاب بهِم؛ لأنَّ الأصل في الحالِ اقترانُه بعاملِه في الزَّمن، وهذا يدلُّ على حتميَّةِ حُلول العذابِ واستِحْقاقِهِم إيّاهُ.

بَيانُ مَرْجِعِ الضَّميرِ (هوَ):

الإشارَةُ إلى جَزاءِ ما كَسَبوهُ مِنَ الذُّنوبِ

الضَّمير (هوَ) في قول اللّه ﷻ: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ يعودُ إلى (ما كَسَبوا) بتقدير مضافٍ، والمَعْنى: وجزاءُ ما كسَبوا واقِعٌ بِهِم[3]، وجزاءُ الذي كَسَبوهُ مِنَ الذُّنوب والآثامِ هو العذابُ.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالوُقوعِ دونَ الإحاطَةِ:

تَصْويرُ نُزولِ العَذابِ وسُرْعَتِهِ

جاء التَّعبير بالوُقوع في قولِ اللّه تعالى: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ دون الإحاطَةِ، فلَم يَرِد في البيان القُرآنيِّ: (وهو محيطٌ بِهِم)؛ لِما في لفظِ الوُقوع من إفادةِ نُزولِهِ وتلبُّسِه بالمُعَذَّبين، بخلافِ لَفْظِ الإحاطَةِ؛ فإنَّه يدلُّ على الشُّمول والعمومِ من غيرِ بيانِ مَعْنى النُّزول بِهِم.

كما أنَّ لفظَ الوُقوعِ مُشْعِرٌ بِسُرْعَةِ نُزولِ العذابِ بِهِم كما هو شأنُ الأشياءِ الواقِعَةِ، وهَذا أدخَلُ في التَّخويف والتَّرهيب.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِاسْمِ الفاعِلِ ﴿وَاقِعٌ﴾ دونَ الفِعْلِ:

إدْخالُ الخَوْفِ والمَهابَةِ في نُفوسِ الظَّلَمَةِ

في التَّعبير عن الوقوعِ باسْمِ الفاعل ﴿وَاقِعٌ﴾ دونَ الفعل المُضارِعِ (يقَعُ) في قول اللّه تعالى: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ

(1) القنوجي، فتح البيان: 12/ 295.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 29.
(3) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 397، والقنوجي، فتح البيان: 12/ 295.

﴿وَاقِعٌۢ بِهِمۡۗ﴾؛ لِما في الاسمِ مِنَ الدَّلالة على الثُّبوت والدَّوام، وذلك أبلغُ في إدخالِ الخَوْفِ والمَهابَةِ في نُفوس الظّالمين، بخلافِ التَّعبير بالفِعْلِ المُضارِع فإنَّه وإن أفادَ الاستمرارَ، إلّا أنَّه استمرارٌ تَجَدُّديٌّ، والدَّوام أبلغُ مِنَ الاستمرار التَّجدُّديِّ.

دلالَةُ الباءِ في ﴿بِهِمۡۗ﴾:

تَصْويرُ العَذابِ المُلْزِمِ لِلظّالِمينَ

الباءُ في ﴿بِهِمۡۗ﴾ من قول الله تَعالى: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ﴾ تَحملُ مَعنى الاستعلاءِ، والمَعْنى: وهو واقِعٌ علَيهِم، وفيهِ مَعنى الإلصاقِ المَجازيِّ[1]، وذلك يَقتَضي شدَّةَ ارتباطِ العذابِ بالمُعَذَّبين ولزومَهُ إيّاهم، فالعذابُ لا يَحِلُّ بهم حُلولًا عارِضًا، بل يلزَمُهُم، ويَسْتَعْلي عليهِم، ويَكْتَنِفُهُم مِن كلِّ جانب، بحيثُ لا يجدونَ عنهُ مَخْلَصًا.

دلالَةُ الواوِ في قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

الإشارَةُ إلى التَّبايُنِ بَينَ الإشفاقِ والاطمِئنانِ

الواوُ في ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ من قول الله تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ﴾ عاطفةٌ ما بَعْدَها على مفعولِ ﴿تَرَى﴾، والتَّقدير: وترى الَّذين آمَنوا، وعَمِلوا الصّالحات في رَوْضاتِ الجَنّات، ويجوز أن تكونَ عاطِفَةً على جميعِ الجُمْلَةِ قبلَها، فيكون (الذين) مبتدأً، و﴿فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ﴾ متعلِّق بخبر محذوفٍ[2]، ويكون عطفُها على ما قبلَها لِما بينَهُما مِنَ التَّوسُّط بين الكَمالَيْن؛ لاشتراكِ الجُمْلَتَيْنِ في الخبريَّة، ولِما بينَهُما مِنَ التَّناسب المَعْنَويِّ، وهو التَّضادُّ، وجائزٌ أن تكونَ الواو للحالِ، والمَعْنى: ترى الظّالمين في إشفاقٍ في حالِ أنَّ المُؤْمنين مُطمَئِنّون في رَوْضاتِ الجَنّات[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 78.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 293.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 79.

بَلاغَةُ المقابلة بين حال الظّالمين وحال المؤمنين:

تَصويرُ تَضادِّ حالِ الفَريقَيْنِ يَوْمَ القيامَةِ

على القولِ بأنَّ الواوَ في ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ من قول اللّه سُبْحانَه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ﴾ حاليَّةٌ، فإنَّ الجُمْلَةَ الحاليَّةَ بعدَها تدلُّ على أنَّ المُؤمنين قَدِ استَقَرّوا في رَوْضاتِ الجنّاتِ قبلَ عَرْضِ الظّالمين على الحسابِ وإشفاقِهم مِن تَبِعاتِهِ، وهذا مِن تضادِّ حال الفَريقَيْنِ يومَ القيامةِ على عكْسِ ما كانوا عليهِ في الحياةِ الدُّنيا، والمَقْصودُ: اليومَ انقلبَ إشفاقُ أهلِ الإيمان اطمئْنانًا، واطمئنانُ أهلِ الظُّلم والشِّرك إشفاقًا[1].

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِالمَوْصولِ وصِلَتِهِ:

الإيماءُ إلى سَبَبِ التَّكْريمِ ودُخولِ الجَنّاتِ

جاء التَّعبيرُ بالاسم الموصولِ (الذينَ) وصلتِهِ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ﴾؛ إيماءً إلى نَوْعِ الخَبَرِ المَحْكومِ به على المسنَدِ إلَيهِ، وأنَّه مِن جنسِ التَّكريمِ والرِّفْعَةِ، وفيهِ إعلامٌ بعِلَّةِ استحقاقِهم روضاتِ الجنّاتِ المذكورة في قولِهِ: ﴿فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ﴾، وأنَّ هذه المَكْرُمَةَ مُسَبَّبَةٌ عَن إيمانِهم وعَمَلِهم الصّالحات.

وفي هذا تَرْغيبٌ في التَّلَبُّسِ بالإيمانِ والعمَلِ الصّالِحِ؛ ليَنْدَرِجَ العبْدُ في سِلْكِ المُكْرَمينَ بروضات الجنّاتِ.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِالمَوْصولِ جَمْعًا:

كَثْرَةُ المُؤْمِنينَ العامِلينَ الصّالِحاتِ

إيرادُ الاسمِ المَوصولِ جَمْعًا في قولِ اللّهِ سُبحانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ﴾؛ فيهِ إشْعارٌ بِكَثْرَةِ أهلِ الإيمانِ الَّذينَ جمَعوا معَ الإيمانِ العمَلَ الصّالِحَ، وكونُهُم كَثيرينَ لا يَلْزَمُ منهُ أنَّهُم أكثَرُ الخَلْقِ كَما هو ظاهِرٌ.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ الماضي ﴿ءَامَنُواْ﴾:

تَحَقُّقُ وصْفِ الإيمانِ والعَمَلِ الصّالِحِ فيهِم

جيءَ بصِلةِ المَوْصولِ فعلًا ماضيًا ﴿ءَامَنُواْ﴾ في قولِهِ سُبْحانَهُ:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 79.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ﴾؛ للدَّلالَةِ على تحقُّقِ وصْفِ الإيمانِ والعَمَلِ الصّالِحِ فيهِم.

نُكْتَةُ حَذْفِ مُتَعَلَّقِ فِعْلِ ﴿ءَامَنُواْ﴾:

حَقيقَةُ الإيمانِ مُسْتَقِرَّةٌ في نُفوسِ المؤْمِنينَ، وهُم مُقِرّونَ بِجَميعِ ما يَجِبُ الإيمانُ بِهِ

حُذِفَ متعلَّقُ الفعلِ ﴿ءَامَنُواْ﴾ من قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ﴾، وهو المُؤْمَنُ بِهِ، وفي ذَلِكَ مَسْلَكانِ:

أحدُهما: ظُهورُ أفرادِ المُؤْمَنِ به؛ وذلك لأنَّ لِلإيمان حقيقةً شرعيَّةً معروفةً، فإذا أُطْلِقَ لفظُهُ؛ انصرَفَ الذِّهْنُ إلى تلكَ الحقيقةِ، مِن غَيْرِ افتِقارٍ إلى التَّنصيصِ عَلَى مُتَعَلِّقِهِ.

والآخر: إرادَةُ العُمومِ؛ وذَلِكَ لأنَّ حَذْفَ المَعْمولِ مُشْعِرٌ بالعُمومِ، والمَعْنى: آمَنوا بِجَميعِ ما يَجِبُ الإيمانُ بِهِ شَرْعًا.

فائِدَةُ عَطْفِ عَمَلِ الصّالِحاتِ عَلى الإيمانِ:

شَرَفُ العَمَلِ الصّالِحِ وعَظيمُ مَنْزِلَتِهِ

عُطِفَ العملُ الصّالح على الإيمانِ في قَولِه سُبحانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ﴾ هوَ مِن بابِ الإطْنابِ بعَطْفِ الخاصِّ على العامِّ؛ إذْ إنَّ حقيقةَ الإيمانِ: قولٌ وعملٌ واعتقادٌ، فالعمَلُ داخِلٌ في مسمَّى الإيمانِ وحقيقتِهِ الشَّرعيَّةِ، والنُّكْتَةُ في عطفِ الخاصِّ على العامِّ التَّنبيهُ على شرفِ العملِ الصّالِحِ بذِكْرِهِ مرَّتينِ، إحداهُما: مُنْدَرِجًا تحتَ لَفْظِ الإيمانِ، والأُخْرى: مُنْفَرِدًا.

فائِدَةُ ذِكْرِ الصِّفَةِ وحَذْفِ المَوْصوفِ:

الاقْتِصادُ في اللَّفْظِ اكتِفاء بِالقَرينة

في قَوْلِ اللهِ تعالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ﴾ إيجازٌ بالحَذْفِ؛ إذ إنَّ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ صِفَةٌ لموصوف محذوفٍ، والتَّقدير: وعَمِلوا الأعمالَ الصّالحاتِ، والقَرينَةُ على تَعْيينِ المَحْذوفِ هوَ الفِعلُ (عَمِلوا)، فاكتُفِيَ بِالقَرينَةِ عنِ التَّصْريحِ بِالمَوْصوفِ؛ اقتِصادًا في اللَّفْظِ وإيجازًا.

مَعْنى (أل) في ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

العَمَلُ الصّالِحُ هُوَ الجامِعُ لِلإخلاصِ والمُتابَعَةِ

(أل) في ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من قولِ اللهِ تَعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يُرادُ بها العَهْدُ العلميُّ؛ وذلك أنَّ العملَ الصّالحَ معروفَةٌ حقيقَتُهُ في الشَّرعِ، وأنَّه الجامعُ لأمرَينِ، أحدهما: الإخلاصُ للّه تَعالى، والآخَر: المتابعَةُ لرَسولِ اللّه ﷺ.

ويَجوزُ أن تَكونَ اللّام للاستِغراقِ العُرفي، وفي هذا ضَربٌ مِنَ المُبالغَةِ في وصفِ أهلِ الإيمانِ، حتَّى كأنَّهم ما تركوا عملًا صالحًا إلّا ولَهُم فيهِ نَصيبٌ.

نُكْتَةُ جَمْعِ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

أعمالُ الخَيرِ في الإسلامِ كَثيرَةٌ أفرادُها ومُتَنَوِّعَةٌ مَجالاتُها

جُمِعَت ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مِن قَولِ اللهِ تَعالَى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ لِلإيماءِ إلى الإتيانِ بِها بأنواعِها دونَ الاكتفاءِ ببَعْضِها؛ إذْ إنَّ أركانَ الإسلامِ وأعمالَ الخيرِ مُتَرابطةٌ، آخِذٌ بعضُها بِحُجَزِ بعضٍ، كما قال اللّهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة: 208]، وفي التَّعبير بلفظ الجمع تخفيفٌ على المؤمنين من إفراد العمل الصّالح؛ لأنَّ الإفراد يقتضي أنَّه لا بدَّ أن تكون جميع أعمالهم صالحةً بلا استثناء عملًا عملًا، وهذا فيه من المشقَّة ما فيه عليهم، بخلاف لفظ الجمع الَّذي يقتضي أن تكون أغلب أعمالهم صالحة.

دلالَةُ حَرْفِ الجَرِّ ﴿فِي﴾:

تَشريفُ أهلِ الإيمانِ وإكرامُهُم

حرفُ الجرِّ ﴿فِي﴾ الواردُ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ﴾ دالٌّ على الظَّرفيَّة، وهي ظرفيَّةٌ مجازيَّةٌ؛ لأنَّ المُؤمِنَ لا يكون في روضاتِ الجَنّات في وقتٍ واحِدٍ، وإنَّما هو في موضِعٍ واحدٍ مِنها، فالظَّرف أوسعُ مِنَ المَظْروفِ، وهذا بناءً على أنَّ كلَّ واحدٍ من أهلِ الإيمانِ له روضاتُ الجنّاتِ.

ويجوز أن يكون المَعْنى على التَّوزيع، أي: لكلِّ واحدٍ روضةٌ؛ لأنَّ

(الذين) جمعٌ، و﴿رَوْضَاتِ﴾ جمعٌ كذلك، ومقابلةُ الجمعِ بالجَمْعِ تَقْتَضي القِسْمَةَ آحادًا، والمَعْنى: كلُّ واحدٍ لهُ رَوْضَةٌ[1]، فتكون الظَّرفيَّة حقيقيَّةً.

إلّا أنَّ الأوَّل أبلغُ في الإكرامِ وأدخَلُ في تَشْريف أهلِ الإيمانِ.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِـ﴿رَوْضَاتِ﴾ مادَّةً وصيغَةً:

كَـثْرَةُ الرَّوْضاتِ عَدَدًا وأنْواعًا

عُبِّر بـ﴿رَوْضَاتِ﴾ في قول الله سُبْحانَه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ﴾؛ لِما تدلُّ عليه مادَّتُها مِن الخُصوبَةِ والرَّخاوة المُتَرَتِّبة عن تشَبُّع الأرض بالماء، ممّا يَقْتَضي أنَّها أماكنُ عامرةٌ بالحياةِ والخُضْرَةِ وأصنافِ النَّعيم.

كما أنَّ البيانَ القرآنيَّ آثر التَّعبير بـ﴿رَوْضَاتِ﴾ جمعًا؛ لإفادة كثرةِ الرَّوضاتِ في عددها، أو تنوُّعِها في أصنافِها، ولا مانعَ مِن إرادَتِهما معًا، فهي كثيرةُ العددِ مختلفةُ الأنواعِ.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِـ﴿ٱلْجَنَّاتِۖ﴾ تنكيرًا وجَمْعًا:

تَنْشيطُ القُلوبِ لِتَحْصيلِ أسْبابِ دُخولِ الجَنَّةِ

في جَمْعِ الجَنّات مِن قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ﴾ دلالَةٌ عَلى أنَّها ليستْ جنَّةً واحِدَةً، وإنَّما تَشْتَمِلُ عَلى جَنّاتٍ كثيرَةٍ مُتَعدِّدة؛ إذِ الجنَّةُ في الآخرةِ تشتمِلُ على جِنانٍ كثيرةٍ.

وهذا أقْوى في التَّرغيبِ، وأنشَطُ لقُلوبِ المتلقّينَ على فِعْلِ أسبابِ تحصيلِها، وأفاد تنكير الجنّات تعظيمها وتفخيمها، كما يمكن أن يفيد التَّنكير النَّوعيَّة، فهي جنّاتٌ ليست من جنس الجنّات الَّتي يعرفونها.

دلالَةُ إضافَةِ الرَّوْضاتِ إلى الجَنّاتِ:

عَـظَـمَـةُ الجَـزاءِ الإلَهيِّ في إكْرامِ المُؤْمِنينَ

إضافَةُ ﴿رَوْضَاتِ﴾ إلى ﴿ٱلْجَنَّاتِۖ﴾ في قول الله سُبْحانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ﴾ يدلُّ على تميُّزِها بالشَّرف

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 4/ 5.

والطّيب[1]، فهي أحسنُ بقاعِ الجنانِ وأطيَبُها، وفي هذا إيماءٌ إلى عظمَةِ الجَزاء الإلهيِّ، وشدَّة إكرام اللّه تَعالى لأهلِ الإيمانِ.

بَلاغَةُ الاحتِباكِ في الآيَةِ:

إشفاقُ الظّالِمينَ واطمِئنانُ المؤمِنينَ

في قولِ اللّه سُبْحانَه: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ﴾ احتباكٌ، وهوَ المُسَمّى بحذفِ التَّقابُلِ أو الحذف المُقابَلِيِّ، وذلكَ لأنَّه أثْبَتَ الإشفاقَ للظّالمين أوَّلًا؛ للدَّلالةِ على إثباتِ الأمْنِ والطُّمأنينَةِ للمُؤْمنينَ ثانيًا، وأثْبَتَ الجَنّاتُ ثانيًا دليلًا على حذفِ النّيرانِ أوَّلًا[2]، فيكون تقديرُ نَظْمِ الآيَةِ: تَرى الظّالمين مُشْفِقين ممّا كسَبوا، وهو واقِعٌ بِهِم، وهُم في النّيران، وتَرى الَّذين آمَنوا، وعَمِلوا الصّالحات آمِنينَ مُطْمَئِنّين، وهُم في رَوْضاتِ الجنّاتِ.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِاللّامِ في ﴿لَهُم﴾:

لَيْسَ لِلظّالِمينَ المُشْرِكينَ مِنَ الجَزاءِ في الآخِرَةِ شَيءٌ

اللّامُ في ﴿لَهُم﴾ مِن قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ﴾ للاختِصاص[3]، فلا يُشارِكُهُم في ذلكَ غيرُهُم، وفي ذلكَ تَعْريضٌ بأهْلِ الظُّلْمِ والشِّركِ بأنَّهُ لَيْسَ لَهُم نَصيبٌ من هذا الجزاءِ العظيمِ.

نكتةُ تقديم شبه الجملة: ﴿لَهُم﴾:

في تفخيم جزاء المؤمنين تعريضٌ بجزاء الظّالمين

أفاد تقديمُ شبه الجملة هنا معنى الاختصاص، على معنى أنَّ هذه الجنّات لهم، وليست لغيرهم، وقد يكون غرض التَّقديم هو تعجيل ما يسرُّهم.

دلالةُ بِالمَشيئَةِ دونَ الطَّلَبِ:

سَعَةُ فَضْلِ اللهِ تَعالى عَلى أهْلِ الإيمانِ

عُبِّر بالمَشيئَةِ في قولِ اللّه سُبْحانَهُ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ﴾ دون الطَّلَبِ، فلَم يَرِد في النَّظْمِ القُرآنيِّ: (لَهُم ما يَطْلبون)؛ لبيانِ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 30.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 294.
(3) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 275، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 79.

سَعَةِ فَضْلِ اللّه تعالى عَلَيهِم، وعظيم إكْرامِه لَهُم، حتّى إنَّ مجرَّد رَغْبَتِهِم في شيءٍ ما يَقْتَضي إحضارَهُ لَهُم مِن غيرِ حاجَةٍ إلى سُؤالِهِ أو طَلَبِهِ.

دَلالَةُ التَّعْبيرِ بِالظَّرفيَّةِ:

عَظَمَةُ الجَزاءِ وسَعَةُ الكَرامَةِ لِلمُؤْمِنينَ في الآخِرَةِ

العِنْديَّةُ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ﴾ يجوز أن تكون حقيقةً أو مجازًا[1]، فحَمْلُها على الحقيقةِ مَعْناهُ: أنَّ ما يشاؤونَهُ يَجِدونَهُ حقيقةً في جِوارِ ربِّهم في الجنَّة، ويجوز أن تكونَ عنديَّةً مجازيَّةً، على مَعْنى أنَّ ما يشاؤونهُ مُتَحَقِّقٌ بعِنايةِ اللّه تَعالى ورعايَتِه، فعُبِّر عن هذهِ الرِّعاية والعنايَةِ الإلهيَّة بالعِنديَّة للإيماءِ إلى المَكانَةِ الرَّفيعَة، وكِلا الوَجهَيْنِ فيهِ دلالَةٌ على عظمَةِ الجَزاءِ وسَعَةِ الكَرامَةِ لأهلِ الإيمانِ في الجَنَّة.

دلالَةُ الإضافة في قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمۡۚ﴾:

اسمُ اللهِ تَعالى (الرَّبّ) دالٌّ عَلى عَظيمِ الإحسانِ والرِّعايَةِ

في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿عِندَ رَبِّهِمۡۚ﴾ بإضافةِ الظَّرف إلى اسمِ اللّه تَعالى الرَّبِّ دلالَةٌ على التَّشريف وعظيم العِناية[2]، وأنَّ ذلك مِن جُمْلَةِ إحسانِ اللّه تعالى إليهِم؛ إذ ذلكَ مِن مُقْتَضياتِ اسم اللّه سُبْحانَهُ (الرَّبِّ).

بَلاغَةُ تَرتيبِ الأخبارِ عَنِ الاسمِ المَوصولِ (الذين):

التَّدَرُّجُ في التَّشْريفِ والعَطاءِ

(الذين) مِن قول اللّه تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ﴾ يجوزُ أن يكون مبتدأً، وخبره: ﴿فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ﴾، وقوله سُبْحانه: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ﴾ خبرٌ ثانٍ، وجائزٌ أن يكون الخبرُ الثّاني قولَه: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ﴾، ويكون قولُه: ﴿عِندَ رَبِّهِمۡۚ﴾ خبرًا ثالثًا، ورُتِّبت الأخبارُ على طريقَةِ التَّرقّي مِنَ الأدْنى إلى الأعْلى، مُراعًى فيهِ تَرْتيبُ الوجودِ أيضًا، فأمّا التَّرقّي؛

(1) القِنوجي، فتح البيان: 12/ 296.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 79.

فلأنَّه سُبْحانَهُ أخبَر عنهم بأنَّهم نزلوا في أحسَنِ موضِعٍ وأطْيَبِه، ثُمَّ أُحْضِرَ لَهُمْ ما يشتهونَه، ثُمَّ ارتَقى إلى ما هو أفخَمُ، وهو كونُهُم عندَ ربِّهم، وأمّا ترتيبُ الوُجود؛ لأنَّ الضَّيف يَنْزِلُ أوَّلَ قُدومِهِ في أحسنِ موضعٍ، وهو منزلُ إكرامٍ، ثُمَّ يُحضَر بينَ يديهِ القِرى ممّا يَشْتَهيه، ثُمَّ يُخالِطُه ربُّ المَنْزِل، ويَخُصُّه بالقُرْب والكَرامَة[1].

بَلاغَةُ التَّذْييلِ بِقَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾:

بَـراعَـةُ الخَـتْـمِ بِـجَـمْـعِ مَـعاني النَّعيمِ

قولُ اللّهِ تَعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ تذييلٌ[2]، وهو تذييلٌ غيرُ جارٍ مَجْرى المَثَل، وذلكَ لاحتياجِهِ إلى ما قبلَهُ في فَهْم تَمام المَعْنى، وجُمْلَةُ التَّذييل جَمَعَت معانيَ الجُمَلِ قبلَها؛ إذ تُفيد أنَّ ما تقدَّم ذِكْرُهُ مِن نَعيمِ الجَنَّة وما يُرْزَقُهُ المُؤْمِنونَ فيها هو فَضْلٌ إلهيٌّ ومِنَّةٌ ربّانيَّةٌ.

دلالَةُ التَّعبيرِ باسمِ الإشارَةِ ﴿ذَٰلِكَ﴾:

عَظَـمَـةُ الفَضْلِ وجَلالَةُ الجَزاءِ

عُبِّرَ باسمِ الإشارَةِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ مِن قول اللّهِ تَعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾، وهو دالٌّ عَلى البُعْدِ؛ للإيماءِ إلى عَظَمَةِ الفَضْلِ وجَلالَةِ الجَزاء وأنَّه عالي الرُّتْبَةِ والقَدْرِ، وهَذا على وجهِ الاستِعارَةِ؛ إذ استُعير اسمُ الإشارَةِ الدّالُّ على بُعْدِ المَكان في بُعْدِ المَكانَةِ والشَّرَف[3].

بلاغةُ القصرِ في التَّعبيرِ بِضَميرِ الفَصْلِ ﴿هُوَ﴾:

المُبالَغَةُ في بَيانِ عَظَمَةِ الفَضْلِ

﴿هُوَ﴾ في قولِ اللّه سُبْحانَهُ: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ ضميرُ فَصْلٍ، وجيءَ به؛ تأكيدًا للقصرِ المُسْتَفاد مِن تعريفِ جُزأي الجُملةِ، فإنَّ المُبْتَدَأ ﴿ذَٰلِكَ﴾ اسمُ إشارَةٍ، وهو معرفَةٌ، و﴿ٱلْفَضْلُ﴾ خبرُه، وهو معرفَةٌ، فالمَعْنى: ذلكَ هو الفَضْلُ لا غيرُه[4]، وهو قصرٌ ادِّعائيٌّ يُراد به

(1) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 30، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 79 - 80.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 79 - 80.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 30، والبقاعي، نظم الدرر: 17/ 294، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 80.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 294.

المُبالغَةُ في أعظَميَّة الفَضْلِ[1]، فلَم يَكُن ضَميرُ الفصلِ مُثْبِتًا القصرَ بَل مُؤَكِّدًا له؛ لئلّا يَلْزَم إثباتُ طَريقَيْنِ للقَصْر في تركيبٍ واحدٍ.

دلالَةُ التَّعبيرِ بِـ ﴿ٱلۡفَضۡلُ﴾ مَصْدَرًا:

﴿ٱلۡفَضۡلُ﴾ في قول اللهِ تَعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ يجوزُ أن يكونَ مَصْدرًا بِمَعنى التَّفوُّق والشَّرف، فالمَعْنى: ذلكَ هو فَضلُهُم الكبيرُ، أي: شَرَفُهُم وتَفَوُّقُهم.

شَـــرَفُ أهْـــلِ الإيمانِ وجَليلُ إنعامِ اللهِ تَعالى عَلَيْهِم

ويجوزُ أن يكونَ اسمًا لِما يُتَفَضَّل به مِن عطاءٍ، فيكون المَعْنى: ذلك فَضْلُنا على أهلِ الإيمانِ[2].

دلالَةُ (أل) في ﴿ٱلۡفَضۡلُ﴾:

(أل) في ﴿ٱلۡفَضۡلُ﴾ من قول اللهِ سُبحانَهُ: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ تدلُّ على الكمالِ، أي: ذلك هو الفضل الكامل من كلِّ الوجوهِ[3].

سِرُّ وصْفِ الفَضْلِ بِالكِبَرِ:

وُصِف الفَضْلُ بالكِبَرِ في قول الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾؛ لبيانِ أنَّه فضلٌ لا يوصَفُ، ولا تَهْتَدي العقولُ إلى كُنْهِ وصْفِه، والوقوفِ على حقيقَتِه؛ وذلك لأنَّ اللهَ سُبْحانَهُ إذا قالَ عَن أمرٍ ما: إنَّه كبيرٌ؛ فمَن ذا الذي يَستَطيعُ أن يَقدُرَهُ قَدْرَه؟[4].

عَـجْـزُ العُـقـولِ عَن إدراكِ كَمالِ العَطاءِ الرَّبّانيّ

❁ الفُروقُ المُعجَميَّةُ:

(كَسَبوا) و(اكْتَسَبوا):

يَرِدُ الكسْبُ في الاستِعْمالِ القُرآنيِّ في جانبِ الحسنَةِ، والاكتساب في جانبِ السَّيِّئَة، وهذا هو الغالبُ، كما قال اللهُ سُبْحانَهُ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ [البقرة: 286].

الكَسْبُ غالِبٌ في جانِبِ الحَسَنَةِ، والاكْـتِـسـابُ غالِبٌ في جانِبِ السَّيِّئَةِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 80.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 80.
(3) القنوجي، فتح البيان: 12/ 296.
(4) القنوجي، فتح البيان: 12/ 296.

وكما هو مُقَرَّر في القاعدَةِ: أنَّ الزّيادة في المَبْنى يدلُّ على الزّيادة في المَعْنى؛ فإنَّ الاكتِسابَ - وهو أكثَرُ حُروفًا - فيه زيادَةٌ في المَعْنى، وذلكَ لِما فيهِ مِن تَصَرُّفٍ واجتِهادٍ وضَربٍ مِن ضُروبِ التَّكلُّف، وبيانُ ذلك: أنَّ السَّيِّئات تُكتسَبُ بعدَ عملٍ وجُهدٍ، وذلك لأنَّ الشَّرَّ ممّا تشتيهِ النَّفْسُ، وهي مُنْجَذِبَةٌ إليه، فكان الإنسان في تحصيلِهِ أعْمَلَ وأجدَّ.

وفيه وجه آخرُ، وهو أنَّ لفظ الاكتسابِ أثقَلُ مِن لفظِ الكَسْبِ، وبيانُ ذلك: أنَّ الحسناتِ ممّا تُكسب مِن غير تكلُّفٍ؛ إذْ كاسِبُها على طريقِ اللّه تعالى وقوانينِ شَرْعِه، بخلافِ السّيِّئات فإنَّها تُكتسَبُ بتكَلُّفٍ؛ إذْ كاسِبُها خارجٌ عن حدودِ النَّهي الإلهيِّ مُتَخَطٍّ لهُ إليها[1].

وقد عُدِلَ عن هذا الأصلِ في مواضع، منها قولُ اللّه تعالى: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ﴾؛ لبيانِ أنَّ ظُلْمَهُم صارَ صفةً راسخةً لَهُم، بحيثُ إنَّ عَمَلَهُم السّيِّئاتِ صار مِن جُمْلَةِ السَّجايا والطَّبائع التي تَحصُل مِن غير كُلفةٍ.

المَشيئَةُ والإرادَةُ:

المَشيئَةُ أخَصُّ مِنَ الإرادَةِ

المشيئة والإرادَة متقاربتانِ، ولذا فسَّرَ كثيرٌ مِن علماء العربيَّة إحداهما بالأخرى[2]، وربَّما أفاد صنيعُهم أنَّهما بمعنًى واحدٍ من جهة اللُّغة[3].

وذكر أبو البقاءِ أنَّ بينَهما فرقًا من جهة اللُّغة؛ إذ إنَّ المَشيئَةَ لُغَةً: الإيجادُ، والإرادةَ: طلبُ الشَّيءِ[4].

(1) دوري، دقائق الفروق اللغوية، ص: 247 - 248.
(2) الجوهريّ، تاج اللُّغة: (شيأ) و(رود)، وابن الأثير، النِّهاية في غريب الحديث والأثر: (شيأ)، وابن منظور، لسان العرب: (شيأ)، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (رود).
(3) الجرجانيّ، التَّعريفات، ص: 216.
(4) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 75.

وفرَّق بينهما أبو هِلالٍ، بأنَّ الإرادةَ تكون لِما تراخى زمَنُه، ولِما لا يتراخى، بخلاف المشيئة فَهيَ لِما لَم يتراخَ زمَنُهُ؛ فالإرادة أعمُّ مطلقًا مِنَ المشيئة[1].

أمّا المشيئة والإرادة باعتبار تعلُّقِهما باللّهِ تعالى؛ فالإرادة أعَمُّ مِنَ المشيئة مطلقًا؛ وذلك لأنَّ الإرادة تَشْمَلُ الإرادة الكَوْنيَّةَ والإرادة الشَّرعيَّة، أمّا المشيئةُ؛ فهي مرادفةٌ لِلإرادَةِ الكَونيَّةِ[2].

(1) العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 124.
(2) حَكَمِي، أعلام السُّنَّة المنشورة، ص: 88.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والخمسون،
سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 53 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-644-66-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 53 : المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-644-66-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4811073 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"